جندى الأدب المجهول

للأستاذ عبد الوهاب النجار

أقول جندى فقط لأنه لم يكن ضابطا كرعاً ولا ضابطا عظيما ولا ضابطاً صغيراً ، بل كان جنديا . وكفى

والذى أتحدث إلى حضرات الأدباء عنه ، أعتقد أن أحداً منهم لا يعرف عنه شيئاً . وهو المرحوم الشيخ المعمَّر محمد أفندى التميمى بن المرحوم الشيخ أحمد التميمى مفتى الديار المصرية

وكان والده المرحوم الشيخ أحمد التميمى من أهل مدينة الخليل بفلسطين ومن علمائها ومن ذرية تميم الدارى . وقد أتى به إلى الديار المصرية ساكن الجنان ابراهيم باشا جدمولانا الملك فؤاد ، وعين مفتياً للديار المصرية . وظل بتلك الوظيفة إلى أن عزل بالمرحوم الشيخ محمد العباسى الحنفى المهدى — (وقد تولى الشيخ المهدى إفتاء الديار المصرية وهو طالب بالأزهر)

مات المرحوم الشيخ أحمد التميمى عن ولديه عبد الرحمن أفندى ومحمد أفندى ؛ فأما عبد الرحمن فأسرع فى تركة والده إسراعاً شديداً ، فأنشأ له ذهبية فى النيل وجعل مقابض مداريها من الذهب ، والجزء الذى يغرز فى الطين من الفضة ، وجعل نعال خيله من الفضة ؛ وكان أخوه محمد لا يعصى له أمراً ، فكلما أراد بيع عمارة أو بيت أمضى محمد مع أخيه عبد الرحمن واعترف بقبض ثمن حصته ، وهو فى الواقع لا يناله من ذلك سوى النزر اليسير

فلما فرغت الراحة عمد محمد افندى إلى اسطنبول ليجد واسطة من أصدقاء والده ليعين فى وظيفة . ولست أعلم إن كان أخوه عبد الرحمن افندى سافر إلى اسطنبول أو لا

وآخر عهدى بعبد الرحمن افندى أنه كان مأمور مركز ؛ وكانت له ورشة نجارة بطنطا ، لأنه أتقن فن النجارة أيام أن كان مهيمناً على عمارات والده

وأما محمد افندى وهو أديبنا المجهول ، فلما عاد بالوصية عين موظفاً بتفتيش السنطة والمياتم التابع لدائرة ثالثة زوجات المرحوم إسماعيل باشا

كان المرحوم محمد افندى التميمى مغرماً بالتدخين فى النرجيلة (الشيشة) ، فلما كان فى اسطنبول خرج إلى متنزه اسمه (الكاغدخانه) ومعه النرجيلة يدخن فيها ، وجاءت السيدات والأوانس من كل صوب وحدب إلى ذلك المكان النزه . ونظر فوجد بقربه سيدة جميلة رشيقة قد جلست ومعها سيدة أخرى . وحانت من السيدة التركية التفاتة فرأت ذلك الرجل الذى يلبس جبة وقفطاناً وعمة خليلية منهمكاً فى كتابة شىء ، فخزرت أنه يكتب عنها ، فأرسلت السيدة الأخرى إليه وكانت تحذق العربية ، فسألته عما يكتب ، فناولها ما كتبه فقرأت :

ظل قلبى فى غزال ... من بنات الترك يُفكرْ
رمت منها الوصل قالت ... سن صقللى هيدا سكتَر

أى أنت ملتح ، هلم فاذهب ! فأسرعت إلى السيدة التركية وأدتها ما كتبه وترجمت لها بالتركية ما فى الكتابة من ألفاظ عربية فسرها ما سمعت ، وحلفت بالمحرجات من الايمان إلا ما حل عندها ضيفاً الليلة

ولما كان بتفتيش السنطة ومركزه القرشية عين ناظراً لورشة التصليحات التى أنشأها المرحوم إسماعيل باشا لأصلاح الآلات الكانيكية ، وكان بناؤها سنة بضع وسبعين ومائتين وألف هجرية ؛ فمر التميمى بالحمادين يحمون الحديد إلى درجة الاحمرار ثم يفطحونه بمطارقهم . فقال موالياً أوله :

لان الحديد للعسلم والحبيب ما لان

وقد ند عن ذاكرتى باقيه

وله لطيفة وهو بالورشة ، فان المرحوم خلف الله باشا عين مفتشاً لتفتيش السنطة والمياتم ؛ فلما استقر به المقام طلب إحصاء بالعمال الذين بالورشة ومرتب كل واحد منهم أو يوميته ، فلما نظر فى ذلك الاحصاء وجد (خوجة لتعليم العمال القراءة والكتابة وإرشادهم فى أمر دينهم ، ومرتبه جنيه فى الشهر) فقال : هذا الخوجة لا لزوم له . فقال التميمى : إنى فكرت فيما فكر فيه سعادة الباشا وأردت رفته ولكنى وجدت الرجل يصلى بالناس الصلوات الخمس بالمسجد مجاناً ، ويخطب الناس يوم الجمعة والأعياد بلا مقابل ، فقلت أتركه الآن حتى يأتى (ابن الحلال) الذى يكون قطعُ رزق هذا الرجل على يده . والحمد لله سعادتكم ، شرفتم ويمكنكم

أن تعملوا ما لم أعمله . فقال خلف الله باشا : والله لا أكون ابن ال . . . الذى يقطع رزق هذا الرجل على يده . وبقى الرجل فى هذه الوظيفة عشرات من السنين إلى أن توفى

وكان له صديق مُثر من المال ، علم أن التميمى اعتزم الزواج ، وما بينهما من المودة يقضى عليه بتقديم المساعدة و (النقوط) ، فأحدث غضباً لا أصل له ، وفطن التميمى فكتب اليه :

إن قوماً أبغضونا خيفة من قول هاتِ
قل لهم فى يوم عرسى نقطـــونا بالسكاتِ

والأمثال لا تغير

ولما نقل المرحوم ابراهيم أدهم باشا من تفتيش السنطة والمحياتم وعين مديراً للغربية ، طلب أحد العمد ، فخشى العمدة أن يعتريه الباشا المدير بسوء ، وجاء إلى التميمى ليكتب إلى الباشا خطاب عناية به فكتب :

قد ظن هذا رجائى عندكم فأتى مستشفعاً بى فعلَ الطامع الراجى
قد ظن عكساً وقصدى من سيادتكم أن تضربوه جزاءً ألفَ كرباج

وأخذ الرجل الكتاب بعد أن ألصق جوانبه بالبرشام وهو يكاد يطير من الفرح ، وقدم على الباشا وناوله إياه ، فأغرق الباشا فى الضحك وعفا عنه

وله رجز فى الفلاح حين واتاه القطن فى نحو سنة ١٢٨٠ عقب حرب أمريكا ، واقتنى الجواوى البيض والعبيد ، وتأنق فى المأكل والملبس ، أحفظ منه :

من بعد خَضْرَا صار يَقْنى كالفدان وطعامه قلدر وخادمه أمان
ولكم مصاغ علقه بعضهم من فوق زوجته الكئيبة سهم
تلقاه يرى اللفظ كالجالوس ويقول عندى نسخة الجاموس

* * *

وفى أيام اختفاء عبد الله افندى النديم بالقرشية عند المرحوم أحمد باشا المنشاوى ، وكان يسمى نفسه السيد على الادريسى اليمنى ، كان النديم يجالسه كل ليلة ولا يدرى حقيقته . وكان المجلس يمتد بهما إلى ما بعد نصف الليل . ففى ليلة سأل المنشاوى باشا جليسيه عن أرباب الجرائد ، فكان عبد الله النديم يسرع ويجيب ويسبق التميمى إلى الجواب ، فقال المنشاوى باشا وما تقولان فى صاحب الطائف ؟ فسكت النديم أو السيد على الادريسى اليمنى وتكلم التميمى ، وقد رابه شأن النديم ولم يقم من المجلس إلا وهو موقن بأن جليسه فى هذه السنوات هو عبد الله النديم

فلما رجع إلى بيته كتب اليه

يأيها الحبر الذى كالبحر يبعد ساحله
من كان مثلك فاضلاً عمت عليه فضائله

وأرسل البيتين مع الخادم ؛ فلما قرأهما النديم ارتاع وخشى على نفسه . فلما جن الليل وجاء محمد افندى التميمى على عادته لقيه بالعناق ، وكتم التميمى أمره إلى أن أعلنه الذى قال إنه علم بالنديم بالجيزة ، وكان الواقع أن النديم أعلن نفسه لذلك المخبر بعد أن مضى على الحكم عشر سنوات شمسية وأحد عشر يوماً

وللتميمى قصائد لا أحفظها ولا أجد من يقفنى عليها الآن ؛ وهو أول من أبرز رواية بالعربية وسماها أم حكيم ، وقد مضى على إبرازها أكثر من خمسين سنة

وقولى إنه معمر سببه أن التميمى كان قد تولى عمارة مسجد وضريح سيدى فخر الدين ببلدة طوخ مَرْيد فى عهد المرحوم اسماعيل باشا ، وكانت العمارة ينفق عليها من دائرة ثالثة أزواج الخديو اسماعيل ، وأحيلت الكتابة على والدى رحمه الله وكانا قريبين فى العمر . وكنت إذا سألت كلا منهما عن الأسن منهما اتهم كل منهما الآخر بأنه أسن منه ، وقد توفى والدى سنة ١٩١٩ عن نحو مائة سنة ، وعاش محمد افندى التميمى بعده من أربع إلى خمس سنوات ، واعتقادى أنه أربى على المائة

فهذا الرجل فى نظرى هو جندى الأدب المجهول

عبد الوهاب النجار

اعلان من الرسالة

(١) لا تنشر الرسالة إلا ما كتب لها خاصة
(٢) لا تنشر الرسالة المقالات المسلسلة إلا إذا أرسلت إليها السلسلة كاملة
(٣) لا تنشر الرسالة قطعة مترجمة ما لم يرسل أصلها معها
(٤) لا تنشر الرسالة مقالة إلا إذا عرفت كاتبها ، وللكاتب أن يرمز لاسمه بما يشاء